

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)، أما بعد:

هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَعْصِيَةِ السَّهْلَةِ؟، إِنَّمَا تِلْكَ الْمَعْصِيَةُ الَّتِي تَأْتِي دُونَ جُهْدٍ أَوْ تَعَبٍ، وَتَتَيَسَّرُ دُونَ مَشَقَّةٍ أَوْ نَصَبٍ، بَلْ أحيانًا
لَا تَحْتَاجُ إِلَى دِرَاسَةٍ أَوْ تَخْطِيطٍ، بَلْ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ أَمَامَهُ فِي مُتَنَاوِلٍ بَسِيطٍ، لَكِنَّ السُّؤَالَ الْأَهَمُّ: مَا هُوَ الْمَقْصَدُ مِنْ هَذِهِ
الْمَعَاصِي السَّهْلَةِ الَّتِي يُقَابِلُهَا الْإِنْسَانُ أحيانًا فِي حَيَاتِهِ؟.

اسْمَعُوا إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ لَتَعْلَمُوا الْإِجَابَةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ
وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ)، اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهُ اخْتِبَارُ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَكَانَ الصَّيْدُ يَغْشَى الصَّحَابَةَ فِي
رِحَالِهِمْ وَهُمْ مُحْرَمُونَ، وَيَتَمَكَّنُونَ مِنْ أَحَدِ صِغَارِهِ بِالْأَيْدِي وَكِبَارِهِ بِالرِّمَاحِ سِرًّا وَجَهْرًا، فَنَهَاَهُمُ اللَّهُ عَنْ قَتْلِهِ لِيُظْهِرَ طَاعَةَ
مَنْ يُطِيعُ مِنْهُمْ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ، فَمَاذَا كَانَتْ نَتِيجَةُ اخْتِبَارِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟.

يَقُولُ أَبُو قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا مَعَ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ،
وَالْقَوْمُ مُحْرَمُونَ، وَأَنَا غَيْرُ مُحْرِمٍ، فَأَبْصَرُوا حِمَارًا وَخَشِيًّا، وَأَنَا مَشْغُولٌ أَحْصِفُ نَعْلِي، فَلَمْ يُؤْذِنُونِي بِهِ، وَأَحْبَبُوا لَوْ أَنِّي أَبْصَرْتُهُ،
وَالْتَفْتُ، فَأَبْصَرْتُهُ فَقُمْتُ إِلَى الْفَرَسِ، فَأَسْرَجْتُهُ، ثُمَّ رَكِبْتُ، وَنَسِيتُ السَّوْطَ وَالرُّمَحَ، فَقُلْتُ لَهُمْ: نَاوِلُونِي السَّوْطَ وَالرُّمَحَ،
فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ، لَا نُعِينُكَ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَعَضَبْتُ، فَنَزَلْتُ، فَأَخَذْتُهُمَا، ثُمَّ رَكِبْتُ فَشَدَدْتُ عَلَى الْحِمَارِ فَعَقَرْتُهُ، ثُمَّ جِئْتُ
بِهِ وَقَدْ مَاتَ)، فَسَأَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا، أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا؟)، قَالُوا: لَا، قَالَ:
فَكُلُّوا مِنْهَا)، فَحَتَّى الْأَمْرُ بِالصَّيْدِ وَالْإِشَارَةُ لَمْ تَقَعْ مِنْهُمْ حَالَ الْإِحْرَامِ، خَوْفًا بِالْغَيْبِ مِنَ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

تَحِيلُ أَنْتَ وَجَدْتَ نَفْسَكَ فَجَاءَ أَمَامَ امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ، فِي مَكَانٍ مُحْكَمٍ الْإِغْلَاقِ، قَدْ تَهَيَّأَتْ لَكَ بِالزَّيْنَةِ وَاللِّبَاسِ، وَهِيَ تَدْعُوكَ لِنَفْسِهَا بِكُلِّ وَسَائِلِ الْمَغْرِيَّاتِ، فَمَاذَا يَكُونُ مَوْقِفُكَ؟، تَعَالَوْا لِنَسْمَعَ مَوْقِفَ الْقُدُوتِ الْأَنْبِيَاءِ، عِنْدَمَا تَعَرَّضُوا لِمِثْلِ هَذَا الْإِتِّلَاءِ، فَهِيَ هُوَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ شَابٌّ، قَوِيٌّ، أَعَزَبٌ، غَرِيبٌ، رَقِيقٌ، تَدْعُوهُ سَيِّدَتُهُ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ ذَاتُ الْمَنْصِبِ وَالْجَمَالِ، وَقَدْ جَهَّزَتْ الْمَكَانَ، وَغَلَقَتْ الْأَبْوَابَ، وَتَهَيَّأَتْ لَهُ بِأَجْمَلِ صُورَةٍ، تَحْتَ التَّهْدِيدِ وَالْمِرَاوَدَةِ، فَمَاذَا كَانَ مَوْقِفُهُ: (وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)، هَكَذَا يَكُونُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ هُوَ مِنْ أَوَّلِ مَنْ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ فِيمَنْ ذَكَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ: (وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ). الْيَوْمَ مَعَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمَرْتِيَةِ وَالْأَجْهَرَةِ الذَّكِّيَةِ، قَدْ تَظْهَرُ لَكَ صُورَةٌ مُحَرَّمَةٌ عَلَى الشَّاشَةِ، وَلَا أَحَدَ يَرَاكَ وَنَفْسُكَ تَدْعُوكَ لِلنَّظَرِ وَالتَّلَذُّذِ بِهَا، فَمَا أَسْهَلَهَا مِنْ نَظَرَةٍ، فَهَلْ تَنْجَرِفُ خَلْفَ الْهَوَى، أَمْ تَعْضُ بِصَرَكَ وَتَعْصِي نَفْسَكَ وَشَيْطَانَكَ؟، وَتَتَذَكَّرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ الرَّجُلُ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ وَفِيهِمُ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ فَتَمُرُّ بِهِ، فَإِذَا غَفَلُوا لَحَظَ إِلَيْهَا، وَإِذَا فَطِنُوا غَضَّ بَصَرُهُ عَنْهَا، فَأَيْنَ هَذَا وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ بِالْغَيْبِ، بَلْ كُنْ كَالْأَسْوَدِ بْنِ كُثْلُومٍ، كَانَ إِذَا مَشَى لَا يُجَاوِزُ بَصَرُهُ قَدَمَيْهِ، فَكَانَ يَمُرُّ بِالنِّسْوَةِ وَالْجِدْرَانِ يَوْمئِذٍ قَصِيرَةً، وَلَعَلَّ إِحْدَاهُنَّ أَنْ تَكُونَ وَاضِعَةً ثَوْبَهَا أَوْ خِمَارَهَا، فَإِذَا رَأَيْنَهُ رَاعَهُنَّ الرَّجُلُ، ثُمَّ يَقُلْنَ: كَلَّا إِنَّهُ الْأَسْوَدُ بْنُ كُثْلُومٍ.

لَوْ كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ وَذِكْرُ رَجُلٍ بِالسُّوءِ، مِمَّنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ وَخُصُومَةٌ، وَوَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ رَغْبَةً فِي الْكَلَامِ فِيهِ وَالِاتِّقَامَ مِنْهُ، فَمَا أَسْهَلَهَا مِنْ كَلِمَاتٍ تُذْهِبُ غَيْظَ الصَّدْرِ، وَأَنْتَ تَرَى الْأَذَانَ صَاغِيَةً لِلْغَيْبَةِ وَالْبُهْتَانِ وَالشَّرِّ، فَهَلْ تَتَذَكَّرُ قَوْلَهُ تَعَالَى: (وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)، وَتَخَافُ اللَّهَ بِالْغَيْبِ، فَيَدْعُوكَ ذَلِكَ الْخَوْفُ إِلَى أَنْ تَكُونَ كَلِمَاتِكَ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ، وَالذَّبِّ عَنْ عَرِضِهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (مَنْ رَدَّ عَنْ عَرِضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عِزُّهُ وَجَلَّ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارُ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، اخْتِبَارَاتٌ عَظِيمَةٌ تَمُرُّ عَلَيْنَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَمَنْ ذَا الْمَوْقِفِ وَمَنْ ذَا الْمَحْدُولِ؟.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِمَامِ الصَّالِحِينَ
الْأَوْلِيَاءِ، وَخَيْرِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةً دَائِمَةً مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، أَمَّا بَعْدُ:

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، أَحْيَانًا الْبَعْضُ يَحْتَالُ لِلْوُقُوعِ فِي الْمَعَاصِي السَّهْلَةِ، فَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ تَفُوتَهُ الْفُرْصَةُ، وَيَهْرُبُ عَنْ تَأْنِيْبِ الضَّمِيرِ،
وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ ارْتِكَابُ جَرِيْمَتَيْنِ: الْوُقُوعُ فِي الْمَعْصِيَةِ، وَالْاِحْتِيَالُ عَلَى الْحَرَامِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: (لَا تَزْنِكُوبُوا مَا
ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مُحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَدْنَى الْحِيلِ)، وَقَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّيْدِ فَاحْتَالُوا فِي صَيْدِهِ، وَلَمْ يَكُونُوا
كَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي الطَّاعَةِ وَالْاِسْتِجَابَةِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقُرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً
الْبَحْرِ)، عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، (إِذْ يَغْدُونَ فِي السَّبْتِ)، يُخَالِفُونَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى بِصَيْدِهِمُ السَّمَكَ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ
تَعَالَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، (إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا)، ظَاهِرَةً عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ)، لَا
تَأْتِيهِمْ فِي غَيْرِ يَوْمِ السَّبْتِ، (كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)؛ اخْتِبَارًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ بِهَذِهِ الْمَعْصِيَةِ السَّهْلَةِ.

فَمَاذَا فَعَلُوا؟ احْتَالُوا عَلَى اصْطِيَادِ السَّمَكَ يَوْمَ السَّبْتِ، بِوَضْعِ الْحَبَائِلِ وَحَفْرِ الْبِرْكِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِذَا جَاءَتْ الْأَسْمَاكُ
فِي يَوْمِ السَّبْتِ نَشَبَتْ فِي الْحَبَائِلِ وَسَقَطَتْ فِي الْبِرْكِ، ثُمَّ يَجْمَعُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَصْطَادُوا يَوْمَ السَّبْتِ، فَمَاذَا
كَانَتِ الْعُقُوبَةُ؟ (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ).

فَيَا أَيُّهَا الْحَبِيبُ، قَدْ تُصَادِفُ يَوْمًا مَعْصِيَةً سَهْلَةً، فَلَا تَنْظُنُّهَا صُدْفَةً غَرِيبَةً، بَلْ هُوَ اخْتِبَارٌ وَابْتِلَاءٌ، فَهَلْ تَسْتَجِيبُ لِدَاعِي
الْهَوَى وَالشَّيْطَانِ، أَوْ تَبْحَثُ عَنِ الْحِيلِ لِلْوُقُوعِ فِيهَا، أَوْ تَقُولُ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؟.

اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَيْشًا قَارًا، وَرِزْقًا دَارًا، وَعَمَلًا بَارًا، اللَّهُمَّ إِنَّا
نَسْأَلُكَ حَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْعُضْبِ وَالرِّضَا، وَنَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَنَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا
يَنْقُذُ، وَفُرَّةً عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَنَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَنَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَنَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ،
وَنَسْأَلُكَ الشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، اللَّهُمَّ آمَنَّا فِي
أَوْطَانِنَا، وَأَصْلَحْ أَمْنَتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، وَاجْعَلِ اللَّهُمَّ وَلَايَتَنَا فِيمَنْ خَافَكَ وَاتَّقَاكَ، وَاتَّبِعْ رِضَاكَ، اللَّهُمَّ أَيْدِ بِالْحَقِّ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ
إِمَامَنَا وَوَلِيَّ أَمْرِنَا، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ، وَكَيْدِ الْمُفْجَرِ، وَشَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.